

التمثيلات الإيمانية في الشعر العراقي الحديث (نازك الملائكة أنموذجاً)

عامر جاسم كريم الحميداوي

طالب ماجستير في اللغة العربية وآدابها / كلية اللغات والثقافات الدولية / جامعة الأديان والمذاهب

صادق البوغبيش

دكتورة في اللغة العربية وآدابها - جامعة خليج فارس - بوشهر

Representations of Faith in Modern Iraqi Poetry (Nazik Malaikah as a Model)

Amer Jassim Karim Al-Hamidawi

Master's student in Arabic language and literature / College of International Languages and Cultures / University of Religions and Sects

Sadiq Al-Boghbish

PhD in Arabic Language and Literature - Persian Gulf University - Bushehr

Abstract

The topic of this study is included among the issues of contemporary poetry that merge with the thought and vision of the poet and he is one of the first pioneers of modern Arabic poetry. Establishing the foundations and rules that the poets were called to adhere to 'if the poetess was able to stand in the noisy arena of poetry 'transgressing the boundaries that had been established for generations 'in order to establish a new Arabic poem contrary to the dominant style of that period 'and then the number of thin angels is a symbol of the poetic modernity in Iraq 'and hence The reason for the selection came to study how to represent the images of faith and belief in the poems that went through two stages in this aspect 'namely the stage of doubt and non-belief and the stage of faith and belief. As for the importance of the subject 'it lies in the personality of the poetess herself and the quality of the poems she wrote in order to emphasize the existence of the two directions 'namely doubt and belief. The political conditions of the martyrs of Iraq during the wars of the two nations 'especially in the intellectual and social consciousness of the poets; Especially when it comes to the thinness of the angels 'whose attractions 'intellectual conflicts 'and political and social influences are about the supreme ideals and the absolute goodness of humanity 'and in light of this perception of the abundance of goodness and the influences on the poet's birth and the choice of his poetic words 'I must admit that Allah 'the Exalted 'is the origin of all of us and the Creator. And beautiful 'and the source of all of us is good 'and then the reference harmony between the members of the literary faith is realized to guarantee the religious meaning in these infinite absolutes 'so the thin poems of the angels bear this meaning and point to that faith 'and this is our Najda in the most famous long poem of faith is a poem (Alma and gunpowder) which exceeded the three-hundred-thousand-thousand-thirty-eighth of my Divan (other than the colors of the sea) 'as well as other poems that carry this religious meaning.

Key words: assimilation 'faith image 'Iraqi contemporary poetry 'Nazzik al-Malaika

المخلص

يندرج موضوع هذه الدراسة ضمن قضايا الشعر المعاصر التي تلتحم بالفكر والرؤية التي يصدر عنها الشاعر وهو (تمثّلات الصورة الإيمانية في شعر نازك الملائكة) وهي من أوائل رواد الشعر العربي الحديث، ويعود إليها الفضل في محاولتها تأصيل المقومات الابداعية والفنية للحركة الشعرية الحديثة، من خلال محاولتها وضع الأسس والقواعد التي دعت الشعراء الى الالتزام بها، إذ استطاعت الشاعرة الصمود في ساحة الشعر الصاخبة متجاوزة الحدود الراسخة منذ أجيال لكي تؤسس قصيدة عربية جديدة مغايرة للنمط السائد في تلك الفترة، ومن ثمّ تُعد نازك الملائكة رمزاً من رموز الحداثة الشعرية في العراق، ومن هنا جاءت دواعي الاختيار لأن أتتبع بالدراسة كيفية تمثل الصور الإيمانية الاعتقادية في شعرها الذي مرّ بمرحلتين من هذا الجانب وهما مرحلة الشك وعدم الاعتقاد ومرحلة الايمان والاعتقاد، أما أهمية الموضوع فتكمن في شخصية الشاعرة نفسها ونوعية القصائد التي كتبتها بما يُعزز وجود الاتجاهين وهما الشك واليقين، إذ أسهمت الاوضاع السياسية التي شهدتها العراق إبّان الحربين العالميتين تنامياً ملحوظاً في الوعي الفكري والاجتماعي عند الشعراء؛ ولا سيما عند نازك الملائكة، التي تجاذبتها النوازع الفكرية والمؤثرات السياسية والاجتماعية بحثاً عن المُثل العليا والخير المطلق الذي تنشده الانسانية، وفي ظل هذا التصور لقيم الخير وتأثيرها على نشأة الشاعر واختيار كلمته الشعرية يكون من لزاماً الإقرار بأن الله سبحانه وتعالى هو أصل كل ما هو مُبدع وجميل، ومصدر كل ما هو خير، وعندها يتحقق التناغم المرجعي بين أبناء العقيدة الأدبي إلى تضمين المعنى الديني في هذه المطلقات غير المتناهية، فكانت قصائد نازك الملائكة تحمل هذا المعنى وتُشير إلى ذلك الإيمان، وهذا ما نجدّه في أشهر مطولة شعرية إيمانية هي قصيدة (الماء والبارود) التي تجاوزت ثلاثمائة شطراً من ديوان (يُغيّر ألوانه البحر)، فضلاً عن القصائد الأخرى التي تحمل هذا المعنى الإيماني.

الكلمات المفتاحية: التمثّل، الصورة، الصورة الإيمانية، الشعر، نازك الملائكة.

المقدمة

يدخل الإيمان والاعتقاد القلبي في تحديد ماهية الشعر بالنسبة للشاعر؛ فضلاً عن تحديد الوجهة التي يتجه لها والغرض الذي يرمي إليه في قصائده بصفة عامة، ويبدو أنّ إيمان الشاعر واعتقاده يتحدد بحسب تأثير المجتمع والنشأة التي عاشها وسط بيئة معينة؛ فهذه النشأة هي من تخلق في داخله شعوراً إيمانياً أو إلحادياً يتجسّد في شعره عندما ينضج؛ فالواقع الاجتماعي مصدر أساسي في تكوين شخصيته الثقافية فضلاً عن إبداعه، ومن ثمّ كانت الاحتجاجات الشعبية والثورات التحريرية في المجتمع العربي بعد الحرب العالمية الثانية السبب الكامن خلف البحث عن أسلوب ثائر ومؤمن ومتجدّد، وربما يدفع هذا الايمان إلى التأثير في شكل القصيدة أيضاً ولا يقتصر على المضامين الشعرية فحسب، وهذا ما تجسّد في عملية البحث عن شكل حديث للقصيدة العربية في العراق الذي أسهمت فيه الشاعرة نازك الملائكة بعد الحرب العالمية الثانية التي انتهت بخلق مشاكل وأزمات جديدة تحتاج إلى حلول ناجعة؛ فكانت محاولة الشاعرة في هذا المضمار مساهمة فعّالة في ظهور القيم الشعرية الحديثة التي فرضتها المرحلة التاريخية الجديدة؛ إذ واجهت المرحلة الجديدة الشاعر العربي بأسئلة عديدة دفعته إلى أن يعيد حساباته في اللغة الشعرية والعاطفة الإيمانية الكامنة خلف شعره وطرائق التعبير عمّا في نفسه وابتكار الأساليب البيانية المناسبة للغرض الشعري الذي يريد التعبير عنه، وهذا ما ترك أثره في شعر نازك الملائكة .

أسئلة البحث وفرضياته

من خلال هذا البحث نسعى أن نجيب على هذه الأسئلة:

- كيف تمثلت الأفكار الاعتقادية التي كانت تؤمن بها الشاعرة نازك الملائكة في صورها الشعرية ؟
- إلى أي مدى حققت الرؤية الإيمانية تنوعاً وتعدداً في الصور الشعرية التي تستخدمها الشاعرة ؟
- هل عكست الأمثلة الإيمانية حجم الواقع الذي انطلقت منه الشاعرة ؟

لقد تمثلت الأفكار الاعتقادية التي كانت تؤمن بها الشاعرة نازك الملائكة في صورها الشعرية والرؤى الإيمانية والدينية التي انعكست في شعرها وجسدتها على شكل صور إبداعية في مجمل قصائدها، وهذا ما يمكن أن نستخلصه من تجربتها الشعرية الرائدة في مضمار الشعر الحديث كونها أول من كتب هذا النوع من الشعر .

لقد حققت الرؤية الإيمانية عند نازك الملائكة تنوعاً وتعدداً في الصور الشعرية التي تستخدمها الشاعرة حيث كان الدور الأبرز في احتفاظها بمادة قيمة عن مجموعة من الأفكار التي آمنت بها وطبقتها في شعرها، فتجسدت على شكل صور متعددة ومتلاحقة تعكس ذلك التنوع الثقافي والعلمي الذي اكتسبته الشاعرة من خلال خبرتها الطويلة التي أوصلتها إلى قمة الإبداع الشعري في كونها أول رواد الشعر الحديث في العراق والبلاد العربية .

أهمية البحث

يدرس البحث جانباً غير مطروق في الدراسات السابقة قلما يسلكها الباحثون وهو بيان المُعتقد الروحي للشاعر وكيفية تتبع الإيمان لديه من خلال شعره.

أولية البحث بالنسبة لغيره: يفتح الإجابة حول سؤال الاعتقاد الإيماني وكيف يتجسد في النص الشعري وينعكس في حياة الشاعر وكلماته بصورة إبداعية جمالية.

الهدف الخاص من دراسة البحث: الكشف عن جانب مهم في الشعر الحديث متمثلاً في مضمون شعر نازك الملائكة الإيماني والاعتقادي.

أهداف البحث العامة

- _ الوقوف على المحتوى الإيماني لدى شاعرة مهمة من شعراء الحداثة .
- _ تتبع مراحل التطور الشعري لدى الشاعرة من خلال الوقوف على مرحلة الشك لديها ثم الانتقال من إيمانها بالأسطورة إلى الإيمان الغيبي بالمطلق بالله سبحانه وتعالى بعد بحث طويل وتأمل قلما نجده عند شاعر آخر .
- _ تسليط الضوء على متن شعري غزير بالدلالة والرمز لقضايا إيمانية وإسلامية ذات أثر في حركة الشعر النسوي بصفة عامة.

منهج البحث

تقوم الدراسة على رصد العينات الشعرية المدروسة وفرزها ثم تصنيفها وتحليلها أدبياً بالإفادة من المنهج الفني التحليلي الذي يأخذ على عاتقه فهم وتفسير العبارة الشعرية من خلال الاعتماد على مجموعة المصادر والمراجع في هذا الشأن؛ ومن ثمّ الوقوف على الدلالة المقصودة التي تكشف عن مفاتيح الدراسة الرئيسية بحسب ما هي مُصنفة في خطة الدراسة ومباحثها العامة.

خلفية البحث

هناك كتاب بعنوان "الاغتراب في شعر نازك الملائكة"، بقلم ساجدة كريم خلف، صدر عن دار غيداء، في عمان عام ٢٠١٦م، تناولت فيه الباحثة مفهوم الاغتراب في الشعر العربي الحديث وتطبيقاته في شعر نازك الملائكة وأثره النفسي وأهم المسارات التي تحقق الاغتراب الشعري من خلالها؛ فضلاً عن تركيز الباحثة حول الأسباب والدراعي لنشوء فكرة الاغتراب وتمييزها في شعر نازك الملائكة ولاسيما في مراحلها الأولى .

سامية صادق ديوب، كتبت كتابها بعنوان "الجوانب الإنسانية والظواهر الفنية في شعر نازك الملائكة"، صدر من ضمن منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، في دمشق لعام ٢٠١١م ، وقفت الباحثة من خلاله على الفكر الإنساني وأهم جوانبه التي تمثل بها في شعر نازك الملائكة وظواهره الفنية المتصلة بالصورة الشعرية واللغة والأسلوب ومفهوم الإيقاع الشعر لدى الشاعرة مع التمثيل المفصل لكل نمط من تلك الأنماط، وقد قامت الباحثة بتحليل النماذج الشعرية التي ساققتها كأمثلة على الجوانب الإنسانية والظواهر الفنية لدى الشاعرة.

ساجدة عبد الكريم التميمي، كتبت كتاباً بعنوان "الاغتراب في شعر نازك الملائكة"، صدر عن دار غيداء، في عمان لسنة ٢٠١٧م، وقد بسطت الباحثة القول في الاغتراب الشعري وأسبابه ودواعيه الفنية والموضوعية عند نازك الملائكة وما تأثرت به في نشأتها وبيئتها الاجتماعية والثقافية، فضلاً عن سرد الأمثلة الشعرية والقوافي الدالة بشكلٍ صريح على مفهوم الاغتراب وتمييزه في ديوان نازك الملائكة .

هيام عبد الكاظم إبراهيم، "بواكير حركة الشعر عند الرواد بين التأثير والتأثير، نازك الملائكة والسياب نموذجاً"، وهو بحث علمي منشور في مجلة كلية التربية، جامعة واسط، في العدد ٢٠ لسنة ٢٠١٥م، وفيه وقفت الباحثة عند مفهوم نقدي مهم هو بواكير الشعر الحر بوصفه حركة شعرية ونقدية ثائرة تبتنها نازك الملائكة وبدر شاكر السياب، وقد سلطت الباحثة الضوء على ثنائية التأثير والتأثر في شعر نازك الملائكة ودلت على ذلك من خلال مختارات من شعر الشاعرة وعرضته وفقاً لتحليلها النقدي.

السيرة والريادة

تعد الشاعرة نازك الملائكة من أوائل رواد الشعر العربي الحديث، إذ يعود لها الفضل في محاولتها تأصيل المقومات الابداعية والفنية للحركة الشعرية الحديثة، فقد أشارت في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) إلى محاولتها وضع الاسس والقواعد التي دعت الشعراء الى الالتزام بها، و"اقتحمت الشاعرة ساحة الشعر الصاخبة، وتجاوزت الحدود الراسخة لتؤسس قصيدة عربية أخرى مغايرة للذوق السائد والبنية الجامدة المستقرة والقواعد الراسخة"^(١). فنازك الملائكة رمز من رموز الحداثة الشعرية في العراق، شاعرة مجددة ولدت في بغداد عام ١٩٢٣م، ونشأت في أسرة شاعرة ومحافظة على التقاليد والعادات القديمة، الأب استاذ نحو وشاعر هو صادق الملائكة، أما الأم سلمى بنت عبد الرزاق المعروفة (بأم نزار)، وهي شاعرة معروفة واليها يرجع الفضل في تنامي موهبة الشعر عند نازك، عرفت نازك منذ صغرها بالعزلة والانطواء، متخذة من الكتب أصدقاء يؤنسون وحشة عزلتها، وهذا ما أثر في شخصيتها وعمق حالة الشك لديها ثم تحولها إلى الإيمان المطلق، وقد كان لنشأة نازك الأسرية اسهام كبير في تكوين شخصيتها الثقافية وهي تحتضن من قبل أبوين شاعرين ومتقنين ثقافة أدبية واسعة، مما ساعد بتهيئة أجواء الكتابة

(١) إبراهيم، هيام عبد الكاظم ، بواكير حركة الشعر عند الرواد بين التأثير والتأثير، نازك الملائكة والسياب نموذجاً، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، عدد ٢٠ لسنة ٢٠١٥ : ص ٢١٣.

الشعرية^(١). وقد ساهمت الاوضاع السياسية التي شهدها العراق في تلك الفترة بتنامي الوعي الفكري والاجتماعي عند الشاعرة، وقد زاملت نازك الشاعرة عاتكة الخزرجي، ولميعة عباس عمارة، أنها تفوقهن اطلاقاً على الآداب العربية والغربية، واغزهن نتاجاً^(٢).

القسم النظري

تشمل المرجعيات المؤثرات الثقافية والاجتماعية والأصول المعرفية ومُجمل الخلفيات والأبعاد الفكرية التي ينطوي عليها الخطاب الشعري لدى شاعر بعينه، أو لدى تيار شعري ما، مُتجذبة بالعودة إلى الأصول والماضي والذاكرة الثقافية التي نستطيع أن نُرجع لها ذلك الأثر شعري؛ وتتنوع هذه المرجعيات إلى دينية واجتماعية وأسطورية يمكن أن تجتمع تحت تسمية شاملة هي المرجعيات الثقافية، وما دام الموضوع متصلاً بالصورة الإيمانية فيكون المُعوَّل عليه في هذا الفصل هو بسط المرجعيات الدينية والاجتماعية والوقوف على مؤثراتها لدى الشاعرة نازل الملائكة؛ إذ يتحدد ذلك بحسب تأثير المجتمع والنشأة التي عاشتها والتربية والتعليم الذي تلقته وسط بيئة معينة؛ فانعكست أصداء تلك المرجعيات في شعرها وجسدتها على شكل صور إبداعية في مجمل قصائدها، ولاسيما أنها الرائدة في مضمار الشعر الحديث ويُحسبُ لها أنها أول من كتب هذا النوع من الشعر.

مرجعيات الصورة الشخصية عند نازك الملائكة

أولاً : المكونات الأولى

تؤثر المكونات الأولى لحياة الإنسان في تكوين شخصيته ونمو أحاسيسه، وهذا ما يعكس الحالة الشعورية التي تعترى الشاعر لاحقاً في شعره؛ فتثير احساساً معيناً اتجاه ما حوله، وقد عبّرت نازك الملائكة عن تلك الحالة الشعورية التي تعترى حينما تشعر بضيق يحاصرها ولا تستطيع التعبير عنه بحرية حين قالت: "وقد يحدث كثيراً أن تعبر الذات عن نفسها بأساليب ملتوية، تثيرها آلاف الذكريات المنطمسة الراكدة في أعماق العقل الباطن منذ سنوات وسنوات، ومئات الصور العابرة التي تمر فيحرق فيها العقل الواعي ببرود وينساها نسياناً كلياً فيتلفقها العقل الباطن ويكتنزها مع ملايين من الصور التافهة"^(٣). وتكون المكونات الأولى للثقافة التي يتلقاها الشاعر هي المؤثر في اختيار طريقه الذي يسير عليه لاحقاً، ففي التفكير المعرفي يرتبط الانسان ضرورة بمجموعة من القيم الأخلاقية التي يتلقاها في مراحل تعلمه الأولى واكتسابه لما يُمَي شخصيته ثقافياً؛ وهذه القيم تُجمع في صورة: الجمال الحق الخير، ولو دققنا في هذه الصورة لوجدناها فيض من صفات الله تعالى، وهي صفات مطلقة لا يتأتى للإنسان تخمين منتهاها وحدها بل يستعين بالبصيرة على تخيل أنها استثنائية في وقعها على الخيال والنفس دون أن تحتكم هذه البصيرة إلى شيء إلا الانسياق وراء الرغبة في الاستمتاع والإعجاب بهذا المطلق في جماله؛ وبذا يصبح الجمال الإلهي المرتبط بقيمة الخير محرّكاً للإبداع، ودافعاً للمبدعين، في إطار حالة الجذب هذه تجاه هذا المطلق، إلى المواءمة بين هاتين القيمتين وإنتاج نص شعري إبداعي يحاول إشراك تصور هذا المبدع النسبي عن الجمال

(١) ينظر : آل طعمة، سلمان هادي ، شاعرات عراقيات معاصرات ،دمشق ، ط٢، ١٩٩٥م : ص ١٣.

(٢) ينظر : عز الدين، يوسف، شعراء العراق في القرن العشرين ، مطبعة أسعد ، بغداد١٩٦٩م : ص ٢٩٨-٣٠١.

(٣) الملائكة، نازك ، الديوان، دار العودة ، بيروت ١٩٩٧م ، ج٢: ص٢١-٢٢.

والخير تحت تأثير الوعي الكامن بمطلق الجمال الذي هو صفة الله سبحانه وتعالى في عقيدة الشخص^(١). وهذا ما نجده لدى نازك الملائكة وهي تختار كل كلمة في شعرها بعناية بالغة؛ بغية الإفادة من تأثيراتها الجمالية والدلالية والإيقاعية، وهذا ما يُحاول النقاد التركيز عليه وهم يتناولون المؤثرات الأولى للثقافة في نفس الشاعر وهو يختار كلمته الشعرية المعبرة؛ حيث يكون "لكل كلمة مجال من التأثيرات الممكنة يختلف طبقاً للظروف التي توجد فيها، والتأثير الذي تولده الكلمة فعلاً عبارة عن توفيق بين أحد تأثيراتها الممكنة والظروف الخاصة التي توجد فيها"^(٢). تلك الظروف أو السياقات التي تعطي للكلمة رونقها وبهاءها الذي لا يتحقق في سياقات أخرى بحسب ما يرى القدماء من النقاد وذلك "أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تنقل عليك وتوحشك في موضع آخر"^(٣).

وفي ظل هذا التصور لقيم الخير وتأثيرها على نشأة الشاعر واختيار كلمته الشعرية يكون من الأجدر الإقرار بأن الله سبحانه وتعالى هو أصل كل ما هو مُبدع وجميل، ومصدر كل ما هو خير، وعندها يتحقق التناغم المرجعي بين أبناء العقيدة الأدبي إلى تضمين المعنى الديني في مقول قوله فهو يصدر بذلك عن هذه المطلقات غير المتناهية، والمحفزة في نفس الوقت للتغني الأدبي بها، وتنشيط المخيلة الإبداعية في اتجاه محاولة الاقتراب منها لبيان انعكاسها على النفس الإنسانية، وقد يكون الأمر عكس ذلك تماماً، فيكون تأثير هذه القيم سلبياً على الشاعر والأمر نفسه يطال المتلقي لهذا الخطاب الأدبي ذلك أن وعي المتلقي يتحرك في نفس الإطار المرجعي وتثير مدركاته هذه القيم المطلقة التي لله سبحانه وتعالى، أو عدم اعترافها بمرجعيتها، فجمال الشيء لا يتوقف على طبيعته وتصوراته الفلسفية العقلانية، وبالتالي قد يرى الشاعر غير هذه الفطرة وغير ذلك المجال من رؤية للجمال ذات مصدر إلهي أو بشري، كون الجمال يرتبط ضرورةً بحرية الإدراك والتخيل^(٤).

وبناءً على ذلك يكون الإدراك والتخيل عاكساً للرؤية الثقافية؛ فيتحوّل الشعور والاحساس إلى سلطة تلاحق الشاعر أو أفغوان ذكر يلاحقها ويملأ الطرقات بلونه القاتم وطبعه المُظلم الذي يخلو من بريق الانسانية ويدلّ على عمق الحقيقة وحجم المأساة المتلاحقة التي تدهم الشاعر حيث تقول :

سأمضى وإن كان خلف السماء

أو وراء حدود الرجاء

ثم ذات مساء

أسمع الصوت:

سيرى فهذا طريق عميق

يتخطى حدود المكان

لن تعي فيه صوتاً لغمغمة الأفغوان

أنَّهُ (لابرنث) سحيق

رُبّما شيدته يدٌ في قديم الزمان

(١) ينظر : إسماعيل، عز الدين، الأسس الجمالية في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٧٤م : ص ٤١ .

(٢) ريتشاردز، مبادئ النقد الأدبي ، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة ٢٠٠٥م : ص ١٩١.

(٣) الجرجاني ، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار قتيبة، ط١، ١٩٨٣م: ص ٣٨.

(٤) ينظر : لالو، شارل، مبادئ علم الجمال، ترجمة : خليل شطي، دار دمشق، ١٩٨٢م : ص ٥ .

لأميرٍ غريب الطباع

ثم مات الأمير... و أبقى الطريق

لأُكف الضياع^(١).

يدلُّ هذا الخطاب المضمَّن في قول الشاعرة الإشارة إلى المكونات الأولى لثقافة نازك الملائكة وكيف تمثَّلت تلك المكونات في إحساسها اتجاه التاريخ الثقافي والمعرفي لها، فصوّرت خوفها وخشيتها من ذلك في هيئة أفعى كبيرة (أفعوان) تُلاحقها وتكتب أحلامها منذ بداية وضع قدمها على الطريق؛ إذ يُسهم هذا الأفعوان في استلاب الجوهر الذي تسعى من أجله الشاعرة، في رمزية واضحة للسلطة التي تستخدمها الشاعرة هنا للتعبير عن شعور داخلي أحسَّت به وراودها منذ أيام طفولتها واستمر إلى زمن كتابة هذه القصيدة ونشرها؛ ممَّا يجعلها تتلو أساليب الفرار وتُعدد صور الخوف والاذعان، جزاء استمرار مأساة تلك الهيمنة وتجبرُّ السلطة الممتدة على حدود الزمان والمكان؛ وهذه الخشية وذلك الخوف يستمر في ظل تلؤن السلطة وقدرتها على الطغيان والمواربة من أجل الامساك بمخالفاتها عن طريق المكر والخداع؛ فها هو صوتها يدوي كما تقول الشاعرة:

أسمعُ الصوت ملء البقاع

فأسيرُ لعلِّي أفيق

من دياجير كابوسي الأبدى الصفيق

ربما سيضل عدوى الطريق

ما أحب المسير وليس ورائي خطي مائته

تتمطى بأصدائها الباهته

في محاني طريقي الطويل

إنَّه لن يجيئ

لن يجيئ و إن عبر المستحيل

أبدأ لن يجيئ

لن يراه فؤادي البريء

من جديد يثير الرياح

لتسد على السبيل

في هدوء الصباح

أبدأ لن يجيء

لن يجيء! ...^(٢).

لقد خلدت الشاعرة للراحة والنسيان مؤقتاً لأنواع التعب حين أخبرها ذلك الصوت عن بُعد الأفعوان وزوال خطره، ويبدو أنَّ لحظة الخلود هذه قصيرة جداً، وما لبثت هُنَيْهات ثمَّ عادت إلى الاضطراب وتلاحق معاني الخوف والهروب والحذر من كل شيء، فقد جاء الصوت مُتَّجهاً نحوها مُحذراً إيَّها من ذلك الأفعوان في كابوس ليلي مُخيف، بعد أن أجهدها في النهار، إنَّ النهار هنا يشير إلى تلك المدة الزمنية التي اكتسبت فيها الشاعرة خبرتها

(١) الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢: ص ٨٠-٨١.

(٢) الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢: ص ٨١-٨٢.

وتقافتها الشعرية وسقلت في ظل ذلك موهبتها الجمالية، أمّا الليل فهو الزمن الذي يدلُّ باختزال على مرحلة الشعر والكتابة والقائد، فالليل يُمثّل النضج في هذه القصيدة؛ ولمّا كان هذا الليل يعكس أحاسيس النهار؛ فقد جاء مُخَيَّباً للأمال ومُنذراً بمزيد من الهلع والخوف الذي تخشاهُ الشاعرة على واقعها ومستقبلها، ولا سيما إذا اقترن بدلالة الليل ورمزيته لمعاني "العزلة والألم والاعتراب"^(١). لذلك تلجأ للروح والتعبير عن ذلك الألم فتقول :

وأسمع قهقهة حاقده

إنه جاء .. يا لضياح رجائي الكسير

في دجى اللابرنث الضرير

و أحس اليد المارده

تضغط البرد و الرعب فوق هدوئى الغرير

بأصابعها الجامده

إنه جاء .. فيم المسير ؟

سأودع حلمي القصير

و أعود بجثته الباردة

و تمر تمر الحياة

و عدوى الخفي العنيد

خلف كل طريق جديد

في ليالي الأسى الحالكات^(٢).

يبدو أنّ إيمان الشاعرة نازك الملائكة في مراحلها الأولى كان مُتوزعاً بين الخوف والرجاء، الخوف من ذلك المجهول الذي يلاحقها دائماً، والرجاء الذي كاد ينقطع وتفقّد الأمل تماماً؛ وهو ما يُضعف فرص الإيمان لديها في المراحل الأولى من تشكل شخصيتها الشعرية بوصفها شاعرة شقّت طريق النجاح على الرغم من صعوبة مسالكه والعقبات التي واجهتها، ولا سيما ما وصفته من تلك العقبات في هذه القصيدة حيث كانت بمثابة الليالي الحالكة الطويلة التي ألقت بثقلها على كيان الشاعرة وكبّلتها بظلامها؛ ومن هنا كان نصيب تشكّل شخصيتها ونضوجها الإيمانى المتشكك والمتذبذب اتجاه الأفكار بمعنى تذبذبه في منطقة وسط بين الإيمان وعدمه وهذا ما رسمته في هذه القصيدة تعبيراً عن ذلك التشكّل الثقافى الذي لازمها في حياتها الأولى في قول الشعر وبقي يلاحقها في مستقبلها، إنّه وجود في مقابل وجودها الأنثوي تدخل معه في صراع مستمر^(٣)

(١) خلف، ساجدة كريم، الاعتراب في شعر نازك الملائكة، دار غيداء ، عمّان ٢٠١٦م : ص ١٨٤.

(٢) الملائكة، نازك، الديوان ، دار العودة ، بيروت ١٩٩٧م ، ج٢: ص٨٢-٨٣ .

(٣) ينظر: خلف، ساجدة كريم ، الاعتراب في شعر نازك الملائكة ، دار غيداء ، عمّان ٢٠١٦م : ص ١٨١.

ثانياً: البيئة الثقافية

لقد كان للبيئة الثقافية التي نشأة في كنفها الشاعرة الأثر البارز في تكوين رؤيتها الإيمانية واعتقادها بما وراء الكون والأشياء، ولاسيما أنّ نشأتها الثقافية كانت ذات مشارب متعددة بتعدد مناهل تلك الثقافة ومستويات التعليم الذي تلقته في مراحل حياتها، وإذا كان النقاد يعتقدون بأنّ "مع كلّ فحلٍ من الشعراء شيطاناً يقول ذلك الفحل على لسانه الشعر"^(١).

فما هذا الشيطان المفترض إلا الخبرة الثقافية التي يكتسبها الشاعر في سنين تكوينه الأولى وبناء ثقافته بصورة عامة وهو من روافد الثقافة التي يتلقاها وينفعل بها نفسياً؛ فلكل أثرٍ فني طابع أصيل ينهل من الثقافة التي تلقاها الشاعر وتأثر بها سلباً أو إيجاباً؛ فلكل "عمل فني ماضياً ومستقبلاً، لا بد لهذا العمل من أن يكون قد وقع تحت طائفة من المؤثرات، كما أنه بدوره لا بد أن يولد بعض التأثيرات، ولكن المؤكد أن لكل أثرٍ فني حقيقي طابعاً أصيلاً قد لا يسهل إرجاعه إلى غيره أو تفسيره بغيره"^(٢). وهنا يمكن أن نقف على مجمل المؤثرات الثقافية التي أسهمت في صياغة شخصية الشاعرة نازك الملائكة وأثرت في شعرها وصورها الفنية بما يعكس الروح الإيمانية، حيث ولدت الشاعرة في بغداد ونشأت في ذلك الجو الثقافي والفكري، ونهلت منه، وتشكلت شخصيتها الثقافية ابتداءً من البيت والأسرة والمدرسة ثم الجامعة وإكمالها دراستها فيما بعد، فبغداد عاصمة للثقافة والمتقين، وقد نشطت فيها الحركات العلمية والمعرفية والثقافية والتحريرية في العصر الحديث، فضلاً عن ازدهار الصحافة فيها وكثرة دور العلم ومقاهي الأدب والشعر، وتدلّ نشأتها في تلك البيئة على تشربها لثقافة الوالدين والأسرة أولاً وقبل كل شيء؛ إذ كان والدها صادق الملائكة أستاذاً مرموقاً لمادة النحو العربي وشاعراً معروفاً، وكانت والدتها سلمى عبد الرزاق (أم نزار) مثقفة وشاعرة معروفة أيضاً، وقد كان لنشأتها تلك اسهام كبير في تكوين شخصيتها الثقافية والأدبية، وهذا ما ساعد على تفجر طاقتها الشعرية في وقت مبكر^(٣). فضلاً عن أثر الوعي الفكري والاجتماعي والثقافي الذي ساد في العراق في العصر الحديث، ومن الطبيعي أن يترك هذا الوعي أثره فيما جلب للثقافة من تحولات لم تحدث ببليّة وضحاها، وإنما هي تحولات تراكمية مستمرة قطع العراق خلالها شوطاً طويلاً وهو يضع قدميه على طريق العلى والتقدم الحضاري، وتبديد قيم التخلف والعادات البالية بصورة تدريجية^(٤). وكيف ترك هذا الوعي أثره الثقافي العميق في نفس أبناء الجيل ومعتقداتهم وانتماءاتهم الدينية والفكرية والحزبية، سواء عند نازك الملائكة أو غيرها المثقفات والشاعرات من جيلها^(٥). وبعد ذلك كان لدخولها إلى دار المعلمين العالية وتخرجت منها الأثر الكبير في نمو تلك الشخصية وبروزها على المستوى الثقافي والشعري؛ إذ تمتعت نازك بموهبة الشعر وبدأت بنظمه في سن مبكرة من عمرها، وتنامت عندها الموهبة بشكل كبير بعد ذلك، وهذا ما دفعها إلى دراسة مختلف اللغات؛ ومنها اللاتينية والفرنسية والانكليزية، فنضجت شخصيتها ثقافياً، وتفجرت لدى نازك الملائكة في سن مبكرة، وهي الفترة التي وضعت الشاعرة فيها قدميها على أعتاب الكلية، وهذا ما أسهم في تكوين تصوراتها

(١) الجاحظ، الحيوان، دار ومكتبة الهلال ط ٣، القاهرة ١٩٩٧م: ص ٤٣٢.

(٢) إبراهيم، زكريا، مشكلة الفن، دار مصر للطباعة د.ت: ص ١٥٨.

(٣) ينظر الجبوري، كامل سلمان، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٣م، ج ٦: ص ٣٢٦.

(٤) ينظر: عربي، إباد يونس، من تاريخ الحركة الثقافية في العراق، المدى، ع ٩٤٥ في ٢٠١٩م: ص ١٧.

(٥) ينظر: غريب، روز، نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م: ص ١٣٠.

الأولى ورؤاها المبكرة اتجاه الحياة والناس بصفة عامة؛ لينعكس بعد ذلك فيما تكتب من قصائد، فكان الشعر لديها ملازماً للأحداث أو كما تقول هي: "وليد أحداث الحياة"^(١)، وعليه لجأت إلى الكلمة والتعبير عمّا في نفسها من أحاسيس تدعو إلى حرية التعبير بطريقة حديثة تتساق مع متطلبات العصر^(٢).

وما يزيد أثر المشهد الثقافي في شخصية الشاعرة نازك الملائكة اهتمامها بالأدب الانكليزي والترجمة، وتأثرها بأدب شكسبير وقصائد الشعراء الإنكليز من أمثال جون كيتس، واعجابها بفلسفة شوبنهاور المتشائمة، فضلاً عن تأثرها بالشعراء العرب وعلى وجه الخصوص الشاعر علي محمود طه والشاعر جبران خليل جبران، لقد ذهبت الشاعرة الى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٥٠، وعادت في عام ١٩٥١، ثم وعادت إليها مرة اخرى في عام ١٩٥٤ لكي تدرس الماجستير في الادب المقارن هناك؛ وبعدها عادت الى العراق لتمارس التدريس في كلية التربية في بغداد، ثم انتقلت للعمل في جامعة البصرة، ثم غادرت الى الكويت وعملت بالتدريس في جامعتها، ثم تلقت دعوة من معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة لألقاء محاضرات تخص الشعر. فكل هذه المحطات كانت مؤثرة إلى حد كبير في تكوين شخصيتها ثقافياً وعلمياً، وكثيراً ما عبّرت نازك الملائكة عن ذلك الأثر الثقافي في قصائدها الأولى، ووصفته بالضوء الباعث على الأمل وتخطّي العقبات والمحن والتخلص من الأشياء البالية التي كَبَلَت المرأة وأسهمت في تخلفها، فكان شعاع القمر دليلاً تسير في هُداها الشاعرة وهي تتلمس طريقها نحو الحرية التي أمنت بها وجعلتها هدفها :

وأزاه يطلُّ علي من المنتظر

مع أمسي البعيد

مع ضوء القمر

في الفضاء المديد

أين أين المفر

من عدوى العنيد

و هو مثل القدر

سرمدي ، خفي ، أبيض

سرمدي ، أبيض...^(٣).

فهذه العقبات كعدو العنيد الجاثم على صدر الحضارة والتقدم، لذا نجد الشاعرة في هذا المقطع تضع أسئلة واستفهامات كثيرة حول (أين المفر) تعريضاً ومخالفةً لتلك العقبات؛ لكي تُؤكِّد أن لا يمكن دفع حركة الثقافة باتجاه التقدم إلا بالأمل المنشود، لذلك نجدها تقول في قصيدة أخرى :

يا نشيدي متى ستأتيك ألحاني
فأنصغي إلى هُتافات حُبِّي^(٤).

(١) الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة، بيروت ١٩٩٧م، ج٢: ص ٧.

(٢) ينظر: الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة، بيروت ١٩٩٧م، ج٢: ص ٩.

(٣) الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة، بيروت ١٩٩٧م، ج٢: ص ٨٣.

(٤) الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة، بيروت ١٩٩٧م، ج١: ص ٥٦٦.

وهذا ما يعكس صراعها بوصفها امرأة مثقفة في مجتمع شرقي، فالشاعرة تتحدر من عائلة محافظة، ومتزوجة زواجا تقليدياً، حيث كانت تشكو في قصائدها من كون زوجها رجلاً مشغولاً دائماً عنها ولا يملك روحاً مثل روحها المتمردة الوثابة الى الحرية والتأمل في الطبيعة والشعر والفلسفة، فالشاعر في رأيها يجب أن يكون " أكثر انقياداً واستسلاماً الى اللاوعي اللغوي بسبب ما يملك من إحساس مرهف وروح محتشد زاحم حتى يكاد الشعر يصبح سلسلة من الرحلات في الاعماق الباطنة للغة يقوم الشاعر بإحداها في كل قصيدة يبدعها"^(١). لذلك بقي المؤثر الثقافي والحضاري في شخصية نازك الملائكة يطبع على شعرها ويُغذيه بفكرة اليأس والكآبة التي آمنت بها الشاعرة نازك الملائكة في كثير من قصائدها، إذ تقول :

يا لميتٍ لم يُودَعهُ قَريبُ
فهو في النهر وحيدٌ متعبُ
ما بكى مصرعهُ إلا غريبُ
هو قلبي، ذلك المُكتئِبُ^(٢).

ثالثاً : الصور الإيمانية

يشكّل الايمان بالقدر والتسليم له فكرة مهيمنة على كثير من قصائد نازك الملائكة ولاسيما التي كتبتها في عقد الاربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، وبعيداً عن إيمان الشاعرة في مراحلها الأولى وتورّعه بين الخوف والرجاء وفقدان الأمل تماماً؛ جاء إيمانها بالقضاء والقدر نقيضاً حتمياً لتلك المرحلة التي عُرفت بهذا النوع من القصائد، وهي قصائد يائسة ومتشائمة في الغالب؛ حيث تنزع الشاعرة فيها إلى التسليم المطلق بالقدر والإيمان الحتمي بسيطرته، لذلك يسيطر جو الحزن ولونه المُظلم على الجو الشعري ولم يعد هناك وجوداً للحياة في ظل ضياع العمر وتبدد السنين؛ في قصيدة "في وادي العبيد" تقول:

ضاع عمري في دباجير الحياة
وخبّت أحلامُ قلبي المُغرِقِ
ها أنا وحدي على شطِّ المماتِ
والأعاصيرُ تُنادي زورقي
ليس في عيني غير العبراتِ
والظلالُ السودُ تحمي مفرقي
ليس في سمعي غير الصرّخاتِ
أسفاً للعُمُرِ، ماذا قد بقي؟^(٣)

وفي ظل هذا التسليم لا يبقى طعم للحياة في نفس الشاعرة؛ وعليه يكون اختيار الموت أفضل، بل الحل الأمثل لطلب الرحمة بعد ذلك الضياع وأقول الأحلام التي تتطلع لهذا الذات الإنسانية :

(١) الملائكة، نازك، سايكولوجية الشعر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٠م:ص ٩.
(٢) الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة ، بيروت ١٩٩٧م، ج ١:ص ٥٠٩.
(٣) الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة ، بيروت ١٩٩٧م، ج ١:ص ٤٨٠.

رحمةً بي أيها الموت وارفق

بفؤادٍ نالت هـواه الحياة

أغفني الآن من مفارقة الدنيا

ودعني إلى غدٍ مُماتٍ^(١)

إنَّها تعاتب الشمس بروح وثنية وإيمان بالأصنام وهي تقس ذلك الكوكب حيث تقول في عتاب مرير في قصيدة
"ثورة على الشمس":

وقفت أمام الشمس صارخةً بها
يا شمس، مثلك قلبي المتمردُ
قلبي الذي جَزَفَ الحياةَ شباةً
وسقى النجوم ضياؤه المتجددُ
مهلاً، ولا يخدعك حزنٌ جائرٌ
في مقلتي، ودمعةٌ تتنهَّدُ
فالحزنُ صورةٌ ثورتي وتمردِي
تحت الليالي والألوهة تُشهدُ^(٢).

لقد اتخذت من الشمس رمزاً نهاريّاً تبث من خلاله شكواها في صورة معبرة عمّا يجول في أعماق نفسها من ثورة
وتمرد على نمطية الحياة التي آمنت بها، أو آمنت بها في مرحلة من مراحل حياتها وهي في رحلتها بحثاً عن
الإيمان المطلق، وهذا شبيه ببث شكواها في قصيدة خاطبت بها سدنة الدين فهم الأقرب إلى ذلك الشعور، إذ
أحست الشاعرة في داخلها أنّ من يتشج بالدين قد يكون مستودعاً لبعض الأسرار التي يبحث عنها البشر والأسرار
التي شغلها في رحلتها الطويلة، فتقول في قصيدة بعنوان "عند الرهبان":

أيتها الراهب الذي يقطع العمر	وحيدا في كوخه المكفهر
هات حدّثني العشيّة عما	عند دنياك من نعيم وبشر
حدّثوني عنكم فقالوا حياة	من نعيم وأنفس من نقاء
عجبا أين ما يقولون؟ ما لي	لا أرى غير حيرة الأشقياء
ما الذي عندكم من البشر والأف	مراح؟ ماذا يا أيها الزاهدونا؟
ليس إلا عمر يمرّ حزيناً	يتهاوى كأبوة

(١) الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة، بيروت ١٩٩٧م، ج١:ص٤٩٦.

(٢) الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة، بيروت ١٩٩٧م، ج١:ص٤٨٥.

(٣) الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة، بيروت ١٩٩٧م، ج١:ص٨١-٨٢.

فالمعروف عن الرهبان أنهم يقطعون مدة العمر في الوحدة والانتقطاع عن الدنيا زاهدين فيها لا يلتفتون إلى ذلك النعيم والفرح الغامر، أن العمر في ظل حياة الرهينة يبدو حزيناً وساكناً؛ لذلك تستمر الشاعرة بالسؤال وتقول:

حدّثوني عنكم فقالوا قلوب
نسجت من نقاوة وثرء

ونفوس صيغت من الزهر والعطـ
ر وهامت مع السنّ والنقاء

أين هذا الذي يقولون عنكم
أيها الراهبون؟ أين تراؤه؟^(١).

فهذا التعبير الجمالي وهذا الربط الشعوري الإبداعي ينساق بوصفه سمةً من سمات الإبداع لدى نازك الملائكة وهي تجول في نقدها للأساق الثقافية التي كرّست شعرها من أجل غايتها^(٢). فنجد الشاعرة تستمر في كشف تلك الأساق وفضح المستور من عمل السلطة السياسية والسلطة الاجتماعية التي تغافلت عن ضحاياها:

أيام طفولتها مرّت في الأحزان

تشريد , جوع , أعوام من حرمان

إحدى عشرة كانت حزنا لا ينطفئ

والطفلة جوع أزلي , تعب , ظمأ

ولمن تشكو ؟ لا أحد ينصت أو يعنى

البشرية لفظ لا يسكنه معنى

والناس قناع مصطنع اللون كذوب

خلف وداعته اختبأ الحقد المشبوب

والمجتمع البشري صريع رؤى وكؤوس

والرحمة تبقى لفظاً يُقرأ في القاموس

ونيام في الشارع يبقون بلا مأوى

لا حمى تشفع عند الناس ولا شكوى

هذا الظلم المتوحش باسم المدنيّة^(٣).

ولمّا كان الخطاب المؤنث بطبعه حذراً ومتريداً^(٤). نجد في شعرها المشبع بالثقافة هذه والموجهة نحو خطاب معين؛ إذ جاءت علامات الحذر باديةً ومُلوّحةً إلى ضرورة الانتباه في خضم عوالم لا تأبه بالمرأة ولا ترأف بحالها، أنّه عالم يتحيّن الفرص للإيقاع بتلك المرأة، وهذا ما حلّ في الواقع البغدادي الذي صورته نازك الملائكة بروح إيمانية تتجسّد في نوم فتاة صغيرة في أحد الشوارع مُنكسرة مُستلبّة من كلّ شيء، وكأنّ من يمرُّ بهذه الفتاة لا يراها .

(١) الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة، بيروت ١٩٩٧م، ج١:ص٨٢-٨٣ .

(٢) ينظر: عبّيد، ليندء عبد الرحمن، (٢٠١٧م)، خصوصية اللغة في الخطاب النسوي القصصي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ص ١٩٣ .

(٣) الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة، بيروت ١٩٩٧م، ج٢:ص٢٧٢ .

(٤) ينظر: مقدّم، يسرى، الحريم اللغوي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٠م: ص ٧١ .

ومن صور الانكسار والاستلاب، ما عرضته الشاعرة وجسّدتها من سيرٍ بطيء لموكب أمام الأنظار يحمل جنازة امرأة في قصيدة (مرثية امرأة لا قيمة لها) ووضعت وصفاً للعنوان: (صور من زقاق بغدادى) تقول فيها:

ذهبت ولم يُشحب لها خدٌ ولم ترجف شفثاهُ
لم تسمع الأبواب قصة موتها تُروى وتُروى
لم ترتفع أستار نافذة تسيلُ أسى وشجواً
للتتابع التابوت بالتحديق حتى لا تراه
إلا بقتيةً هيكل في الدرب تُرعىه الذكّر
نبأ تعثر في الدروب فلم يجد مأوى صداهُ
فأوى إلى النسيان في بعض الحُفر
يرثي كآبته القمّر
والليل أسلم نفسه دون اهتمام للصباح
وأتى الضياء بصوت بائعة الحليب وبالصيام
بمؤاءٍ قطّ جائع لم تبق منه سوى عظام
بمُشاجرات البائعين وبالمرارة والكفاح
بتراشق الصبيان بالأحجار في عُرض الطريق
بمسارِب الماء الملوّث في الأزقة بالرياح
تلهو بأبواب السطوح بلا رفيق
في شبه نسيان عميق^(١).

يُشير وضع المرأة في هذه القصيدة إلى حالة عدم التوازن التي يراها المجتمع بين الرجل والمرأة مطلقاً، بمعنى أنّ النظام الاجتماعي كان على مدى التاريخ ولا يزال مُستمرّاً إلى وقت الشاعرة في تحقيق حالة عدم التوازن للإبقاء على دونية وضع المرأة وارغامها على القبول بذلك الوضع المُزري^(٢). ومن ثمّ كانت النتيجة عدم الاهتمام للمرأة وتجسيد حالة الضعف والانكسار فيها، فهي كائنٌ لا يُفتقد، ولا أحد يُفكر فيه، (لاقيمة لها) بحسب ما جاء في عنوان القصيدة، بل حال هذا الكائن أنّ تخرج جنازته في حال انشغال الناس عنه ويودع في الحفرة، وتستمر الحياة في صخبها.

(١) الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة، بيروت ١٩٩٧م، ج ٢: ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٢) ينظر: عوض، يوسف نور، النقد الأدبي الحديث، دار الأمين، القاهرة ١٩٩٤م: ص ٤١.

النتائج

١. أثرت المكونات الأولى لحياة الشاعرة نازك الملائكة في تكوين شخصيتها الإيمانية ونمو أحاسيسها اتجاه الغيب، وهذا ما ترتب على الحالة الشعورية التي تعتربها حينما تشعر بضيق يحاصرها ولا تستطيع التعبير عنه إلا باللجوء إلى الشعر؛ ومن ثمَّ كان للبيئة الثقافية التي نشأت في كنفها الشاعرة الأثر البارز في تكوين رؤيتها الإيمانية واعتقادها بما وراء الكون والأشياء، ولاسيما أنَّ نشأتها الثقافية كانت ذات مشارب متعددة بتعدد مناهل تلك الثقافة ومستويات التعليم الذي تلقته في مراحل حياتها .
٢. شكّل الإيمان بالقدر والتسليم له فكرة مسيطرة على كثير من قصائد نازك الملائكة، وبعد تذبذب إيمانها في مراحلها الأولى وتورُّعه بين الخوف والرجاء وفقدان الأمل تماماً؛ جاء إيمانها بالقضاء والقدر نقيضاً حتماً لتلك المرحلة التي عُرفت بهذا النوع من القصائد، وهي قصائدها الأولى اليائسة ومتشائمة في الغالب؛ حيث تنزع الشاعرة فيها إلى التسليم المطلق بالقدر والإيمان الحتمي بسيطرته، لذلك يسيطر جو الضياع والحزن ولونه المُظلم على الجو الشعري .
٣. دُلَّت تمثيلات الصورة على ذلك القلق الذي يسبق الإيمان ويُهد له حيث يتضح ذلك القلق على الرغم من الكبرياء الذي حاولت الشاعرة التخفي وراءه من خلال رسم صورة الإله الكئيب المُخيف، لكنَّ الانكسار واضح عليه عندما يرى النتيجة في خلود الإنسان ووقوعه تحت الظلم، حيث تبقى الشاعرة في قلق عاطفي لا تعرف ماذا تُريد، إلى أن جاءت فترة الإيمان المطلق .
٤. يمكن أن نقف على شعر نازك الملائكة حول الطبيعة في ضوء إيمانها بالله سبحانه وتعالى وذلك خلافاً للشعراء الذي تغنوا بالطبيعة من أجل التغني فقط والهروب من البشر والواقع الاجتماعي الذي يعيشونه، أما مع نازك الملائكة فإنَّ تناولها للطبيعة جاء منطلقاً من إيمانها بأنَّ الطبيعة هي من يوصلها إلى التفكُّر بالجمال وعبقرية الخالق، فتقضي أوقاتها متعممة بتلك العظمة وتتهل من ذلك الينبوع
٥. بخصوص الاتجاه الوجودي لدى نازك الملائكة نجد أنها سلكت طريقاً يقود إلى معرفة الله تعالى، وهو أشبه ما يكون بما أُطلق عليه الاتجاه في الغرب بالاتجاه المسيحي في الوجودية، أما الاتجاه الآخر فيجعل أصحابه يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبات وكل ما جاءت به الأديان، وهذا ما ابتعدت عنه الشاعرة نازك الملائكة.
٦. أسلمها إيمانها في ما تبثُّ من قصائد إلى الاعتقاد بأنَّ وراء هذه الحياة حياة من دون حزن وألم .
٧. لا يقتصر الشعر عند نازك الملائكة على كونه صناعة فنية فحسب بل هو موقف وجودي وصورة تعكس إيمان الشاعر اتجاه قضاياها المصيرية، لهذا لا بد أن تكون للشاعر وجهة نظر عامة في مشكلات الكون الكبرى، أو بتعبير عصري أن يكون للشاعر فلسفة ورؤية مُعينة .
٨. يُهيمن موضوع الموت على مجموعة من قصائد نازك الملائكة، بوصف الموت موضوعاً شعورياً ملازماً للتفكير بالوجود، وهنا تتناول الشاعرة موضوع الموت وعبثيته بوصفه صورة من صور إيمانها وعدم إيمانها بتلك الفكرة، وطريقة تناولها للموت في حال عدم إيمانها، ولاسيما في المرحلة الأولى من حياتها، ثمَّ تناولها للموت عندما آمنت بالله سبحانه وتعالى وأدركت أنَّ هناك حياة بعد الموت .
٩. تنزع الشاعرة في إيمانها إلى الوصول إلى السعادة الآخروية المتأثرة إلى حد كبير بالنظرة الدينية الإيمانية، فليس في العبث أو العبثية سعادة أو خلود كما كانت ترى الشاعرة سابقاً، وإنما تكون السعادة كما تبتغيها الفلسفة الإسلامية هي سعادة الآخرة التي يستشعرها الإنسان المُبدع وهو يقترب من الله سبحانه وتعالى .

١٠. لا يتعارض المفهوم الحقيقي للإيمان مع الشعر ولا يجانبه، فالإيمان بوصفه خلاصة الدين ليس مقصوراً على تصحيح العلاقة بين الخالق والمخلوق، وما يستتبع ذلك من الشعائر التعبدية، بل له معانٍ متعددة، تدل على أنه أوسع من ذلك بكثير؛ وهذا ما أثبتته الشاعرة من خلال قصائدها الإيمانية .
١١. وبعد رحلة شعرية جالت فيها نازك الملائكة بين الشك وعدم الاعتقاد تعود إلى أحضان الدين وتؤمن بوجود الخالق وتشعر بكل المعتقدات الدينية والاسلامية بروح مؤمنة تنظر إلى عمق الأشياء وتغترف من معينها الحق؛ لترسم صورها الإيمانية بقلبٍ شفيف؛ ولا سيما تلك التي تناولت مفاهيم وقصص دينية ذات منحى تاريخي؛ فأضفت عليه من روحها وسكبته بأسلوبها الخاص، فمزجت المعرفة التاريخية والدينية بعاطفة قوية .
١٢. سعت الشاعرة جاهدةً إلى تأسيس صلة وثيقة توحّد بين شعورها النفسي وشعور المتلقي، فكانت وسيلتها الفاعلة هي اللغة الشعرية التي تُقدّم بها الصورة، فهي حينما تقدّم لنا صورة شعرية إنما تقدّم لنا شعورها الداخلي واحساسها العميق بواسطة الكلمات المرمّزة، حيث ترمي إلى تحفيز المشاعر لاستنكاه ما في صورتها من أفكار قد تلتقي مع ما يحمله المتلقي من صور وأفكار .
١٣. كان للغة الشعرية والصور الفنية القائمة على التوظيف الديني ودلالاتها لدى الشاعرة تأثير واضح على لغة الشعر وروحانيته؛ ولاسيما في مجال التناص والأخذ من المفاهيم القرآنية بوصفها مفاهيم باعثة على الإيمان الروحي الذي ينطلق منه الشاعر أو يكتنه في قلبه اتجاه نفسه والأشياء المحيطة به، وهذا ما جعل الشاعرة توظف الألفاظ الإيمانية ودلالاتها في نصوصهم الشعرية .

المصادر والمراجع

١. إبراهيم، هيام عبد الكاظم، بواكير حركة الشعر عند الرواد بين التأثر والتأثير، نازك الملائكة والسياب انموذجاً، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، عدد ٢٠ لسنة ٢٠١٥م.
٢. إسماعيل، عز الدين، الأسس الجمالية في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٧٤م.
٣. آل طعمة، سلمان هادي، شاعرات عراقيات معاصرات، ط٢، دمشق ١٩٩٥م.
٤. الجاحظ، الحيوان، دار ومكتبة الهلال ط٣، القاهرة ١٩٩٧م.
٥. الجبوري، كامل سلمان، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢، ج٦، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
٦. الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار قتيبة، ط١، ١٩٨٣م.
٧. خلف، ساجدة كريم، الاغتراب في شعر نازك الملائكة، دار غيداء، عمّان ٢٠١٦م.
٨. ريتشاردز، مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة ٢٠٠٥م.
٩. زكريا إبراهيم، مشكلة الفن، دار مصر للطباعة، د.ت .
١٠. عبيد، لينداء عبد الرحمن، خصوصية اللغة في الخطاب النسوي القصصي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ع٥٤ لسنة ٢٠١٧م.
١١. عربي، إياد يونس، من تاريخ الحركة الثقافية في العراق، المدى، ع٩٤٥ في ٢٠١٩م.
١٢. عز الدين، يوسف، شعراء العراق في القرن العشرين، مطبعة أسعد، بغداد ١٩٦٩م.
١٣. عوض، يوسف نور، النقد الأدبي الحديث، دار الأمين، القاهرة ١٩٩٤م.

١٤. غريب، روز، نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
١٥. لالو، شارل، مبادئ علم الجمال، ترجمة: خليل شطي، دار دمشق، ١٩٨٢م.
١٦. مقدّم، يسرى، الحريم اللغوي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
١٧. الملائكة، نازك، الديوان، دار العودة، بيروت ١٩٩٧م.
١٨. الملائكة، نازك، سايكولوجية الشعر ومقالات أخرى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٠م.

Sources and References

1. Ibrahim, Hiyam Abdul-Kazim, The Early Movement of Poetry among the Pioneers of Influence and Influence, Nazik Al-Malaikah and Al-Sayyab as a model, Journal of the College of Education, Wasit University, Issue 20 of 2015 AD.
2. Ismail, Izz al-Din, The Aesthetic Foundations in Literary Criticism, Dar Al-Fikr Al-Arabi, 3rd edition, 1974 AD.
3. Al Tohmeh, Salman Hadi, Contemporary Iraqi Women Poets, 2nd Edition, Damascus 1995 AD.
4. Al-Jahiz, Al-Haywan, Al-Hilal Library and House, 3rd edition, Cairo, 1997.
5. Al-Jubouri, Kamel Salman, Lexicon of Poets from the Pre-Islamic Era until 2002, Part 6, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut_Lebanon, 1st edition, 2003AD.
6. Al-Jurjani, Evidence of Miracles, investigation: Muhammad Radwan Al-Daya and Fayez Al-Daya, Dar Qutaiba, 1st edition, 1983 AD.
7. Khalaf, Sajida Karim, Alienation in the Poetry of Nazik Al-Malaika, Dar Ghaida, Amman 2016.
8. Richards, Principles of Literary Criticism, Science, and Poetry, translated by: Muhammad Mustafa Badawi, The National Project for Translation, Cairo 2005.
9. Zakaria Ibrahim, The Problem of Art, Dar Misr for Printing, Dr. T.
10. Obeid, Linda Abdel Rahman, Language Specificity in Feminist Fictional Discourse, Journal of the College of Islamic and Arab Studies, Issue 54 of 2017 AD.
11. Oreibi, Iyad Younes, From the History of the Cultural Movement in Iraq, Al-Mada, p. 945 in 2019 AD.
12. Izz al-Din, Youssef, Iraqi Poets in the Twentieth Century, Asaad Press, Baghdad, 1969.
13. Awad, Youssef Nour, Modern Literary Criticism, Dar Al-Amin, Cairo 1994.
14. Gharib, Rose, Breezes and Hurricanes in Arab Women's Poetry, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1st edition, 1980 AD.
15. Lalo, Charles, Principles of Aesthetics, translated by: Khalil Shatti, Dar Damascus, 1982.
16. Moqaddam, Yusra, Al-Hareem Al-Lughawi, Al-Mataba'at Company for Distribution and Publishing, Beirut, 1st edition, 2010 AD.
17. Angels, Nazik, Al-Diwan, Dar Al-Awda, Beirut, 1997.
18. Angels, Nazik, The Psychology of Poetry and Other Articles, The General Authority for Cultural Palaces, Cairo 2000.